اجتماعية المعرفة في التربية الاسلامية

إعداد

الأستاذ الدكتور سعيد اسماعيل علي

استاذ أصول التربية

كلية التربية-جامعة عين شمس

اجتماعية المعرفة في التربية الاسلامية

مقدمة

صور المعرفة المختلفة وميادينها، مثلها كمثل الكائن الحي، تولد وتنمو وتتطور، وهي في نموها وتطورها لا بد أن تثبت فاعليتها ووظيفيتها في مواجهة التغيرات والتطورات، التي تحدث بصفة مستمرة على أرض هذا العالم الذي نعيشه، واذا عجز فرع منها عن ذلك وتخلف عن الركب، تخلى عنه الانسان، وان احتفظ به، فانما ليكون ذلك مجرد حركة على طريق التاريخ؛ أي أن وجوده لا يعدو أن يكون بضع صفحات في كتب التاريخ مثلما يحتفظ الانسان ببعض صور كائنات اندثرت، في متاحف التاريخ الطبيعي.

ومن المسلم به لدى المؤمنين بالعقيدة الاسلامية، أن تلك العقيدة، باعتبارها خاتمة الأديان، وباعتبار الرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، أن يكون الاسلام صالحا لكل زمان ومكان، ومن ثم يصبح من الأهمية بمكان أن نبرز ما تحتويه فروع المعرفة الاسلامية من امكانات وبدائل تواجه بها ظروف التغير الزمانية والمكانية، حتى يزداد المؤمن قناعة بالطريق الاسلامي، وكذلك حتى يتوافر لديه الوعي الكافي اللازم لعمليات التطوير والتغيير المنشودة.

ولما كانت القضية المحورية للدراسات التربوية المعاصرة هي ما يمكن تسميته بـ"الاجتماعية" أو "التوجيه الاجتماعي"، يصبح من الضروري للمسلم المشتغل بهذه الدراسات أن يكشف عن هذا التوجه في القضايا التربوية من وجهة النظر الاسلامية.

ونحن إذ نختار من القضايا التربوية قضية "المعرفة"؛ فلأن جميع المذاهب الفلسفية في التربية تتفق على أهمية التفكير ووظيفة المدرسة في تنميته. فوظيفة المدرسة في تحليلها النهائي وظيفة فكرية؛ اذ توجه الناشئين "بالمعرفة" وعلى

أساسها، وتهدف الى تنمية "عقولهم" وتشكيل سلوكهم بما يكتسبونه من معان ومفاهيم واتجاهات. غير أن اختلاف هذه المذاهب حول طبيعة الفرد وطبيعة القيم ومصادرها، يتضمن اختلافا حول ماهية التفكير وطرق تنميته ومكانته في العملية التربوية ذاتها(١).

وقد تعبر المدارس-بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بالوعي او باللاوعي-عن هذا الاختلاف الذي كثيرا ما يرتبط باختلاف حول الخبرة التعليمية من حيث مكوناتها والقيم المتضمنة فيها والهادفة اليها، وهذا اختلاف ينعكس على الثقافة التي تعمل فيها المدرسة من أجلها، ويتأثر بنوع هذه الثقافة وباتجاهاتها. فالمدرسة وهي تنظر الى وظيفتها من زاوية التفكير، تتأثر بنوع القيم وبنوع الاتجاهات الاجتماعية والسياسية التي يأخذ بها المجتمع، وهي في نفس الوقت لا بد أن تؤثر على هذا كله بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

لقد كان الابستمولوجيون في الفلسفة قد ألفوا النظر الى الذات المدركة على أنها "الانسان الفرد" أو "الانسان المنعزل" أو "الانسان الصوري" الخالص، بالمعنى الكانطي، ولم يميزوا بين الذات العارفة أو المدركة من جهة، وبين عالم الموضوعات التي أرادوا ادراكها من جهة أخرى، كما أنهم لم يفسروا كيف يدخل "العالم الموضوعي" ويلج بموضوعاته الى عالم الوجدان والشعور، فتتمثله الذات الشاعرة أو المدركة(٢). على حين أننا لا نجد انسانا بدون تاريخ كما ذهب (ستارك)، ولا نجد انساناً مجرداً على الاطلاق، كما يستحيل علينا ان نجد عقلاً خالصاً، ولا يوجد في الواقع الأ ذلك الانسان المشخص المحدد بالذات، ذلك الانسان الاجتماعي الذي نراه من خلال احتكاكه بالآخرين، والذي يتأثر بمختلف المعايير الاجتماعية، والذي يتشكل عقله بالتربية وتصاغ شخصيته في صور اجتماعية، كما يصاغ عقله في اطار اجتماعي ويتحدد في قالب ثقافي، وهذا هو الانسان الاجتماعي لا المجرد، الانسان الذي يختلف من عصر الى عصر، ومن مجتمع الى مجتمع، فمن خلال روح العصر في المجتمع، نستطيع أن نعرف كيف يفكر هذا الانسان وفيما يفكر، فمن

الخطأ اذن من وجهة نظر اجتماعية المعرفة، أن نميز بين الانسان باعتباره كائنا وعضوا في مجتمع محدد بالذات، وبينه كانسان عام مجرد، ومن الاجحاف أن نهمل ذلك البعد الاجتماعي الكائن في الفكر والوعي الانساني(٣).

البعد الاجتماعي في الاسلام:

ولا مجال لانكار اهتمام الاسلام بالفرد وعنايته البالغة بتهذيبه، ضميره وخلقه وتوجيه سلوكه، وهي عناية قد يسيء البعض فهمها من المحدثين، فيما يسمعون من اتجاه المذاهب العصرية الى المجتمع على تفاوت منها في موقفها من الفرد بين اهدار شخصيته او الاعتراف بها بقدر محدود. بيد أن الاسلام اذا كان يؤمن بالفرد، الا أنه لا يؤمن بالفردية، وهو في حال الايمان بالفرد يؤمن بحقيقة موجودة(٤). وفي حال انكاره للفردية،يرغب في أن يتجنب الفرد مخاطرها التي تتمثل في سيطرة حب المنفعة الذاتية على تصرفات الافراد وتوجههم في الحياة مما يجعل تماسكهم والتفافهم نحو هدف عام امرا عسيرا.

لقد كان الفرد في الجماعة من وجهة نظر الاسلام، وحدة تتفاعل مع غيرها، تأخذ وتعطي، لها استقلال مقيد وحرية مقيدة. والفواصل التي تحدد استقلال الفرد في الجماعة المسلمة في التصرف والتملك على السواء، هي الفواصل بين الحلال والحرام؛ اذ الحلال هو ما يمثل النفع الفردي، أو النفع العام، وهو نفع الآخرين مع الفرد في الجماعة. والحرام، بالعكس، هو ما يمثل الضرر الفردي أو الضرر العام، وهو ضرر الآخرين مع الفرد في الجماعة(٥).

ويعكس هذا رؤية واقعية وادراكا واعيا بأن وجود او استمرار أي حياة اجتماعية، تعني وجود قيود والتزامات يتبادلها افراد الجماعة وواجبات وحقوق تؤكد فاعلية وعيهم بالوجود المشترك بينهم. وعلى الرغم من أهمية هذا الامر وخطره، الا أن تحقيقه في حاجة الى مجاهدة تخرج كل فرد من دائرة الذات في التفكير والسلوك والاحساس، الى دائرة الاعتراف بالغير والتعاطف معه وتبادل المصلحة والتماسك سويا من أجل البقاء(٦).

واذا تأملنا في أصول العقيدة التي جاء بها الاسلام وفروض العبادات وأحكام المعاملات وكل التوجيهات لسلوك الانسان، فسوف نجد النظرة الاجتماعية والتوجه الاجتماعي.

فالتوحيد، وهو جوهر العقيدة، ليس الا رفضا للعبودية للبشر في مختلف ضروبها واشكالها، وهذا تحرير للانسان من مهانة الرق والاستعباد، ومن فتنة تقديس الزعماء والابطال والرؤساء والحكام، واغلال الخوف والجبابرة والطغاة(٧).

والعبادات شعائر لا طقوس، وحين لا تؤدي العبادة غايتها من صلاح الفرد والجماعة، تقوى وخشوعا وتواضعا وتراحما وتكاملا، فانها تؤول الى طقوس شكلية وحركات آلية فقدت مغزاها وحكمتها، وكان منها للمرائين اقنعة زيف وتمويه، يشق بها على الناس ان يميزوا بين تقي وفاجر، بين مؤمن خاشع ومنافق دجال.

والمعاملات تنظيم للحياة العملية، وضبط العلاقات بين الأفراد في المجتمع بما يكفل العدل والاحسان والأمن، وتكافؤ الحقوق والواجبات، وصيانة الحرمات الخاصة والعامة بأحكام الشرع.

واحكام القصاص في القتل والتشويه والجروح، تأمين لحياة الجماعة، وحدود الشرع في مثل عقوبة الزنا والافك وشرب الخمر، حماية للجماعة من شر المجرمين والمنحرفين من أفرادها وردع عن الفساد في الأرض(٨).

وقد بذل علماء الفقه والتشريع جهوداً مرموقة في سبيل التوصل الى معايير يمكن من خلالها التمييز بين ما هو هام وأساسي للمجتمع، وما هو غير ذلك. ولذلك ميز الفقهاء بين مستويات ثلاثة للمصالح الاجتماعية في الاسلام، هي(٩):

أ- **الضروريات:** وهي تشمل كافة الأفعال والأشياء التي تتوقف عليها صيانة الاركان الخمسة للحياة الفردية والاجتماعية الصالحة بنظر الاسلام، وهذه الاركان هي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، ويمكن الاشارة الى الأفعال التي لا بد منها هنا فيما يلي:

- اقامة الواجبات الاسلامية الاساسية مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج، الخ.
- ما يتصل بحرمة النفس الانسانية مثل اباحة بل ايجاب الأكل والشرب والملبس . .
- تحريم الخمر وما ماثلها مما يغيب الوعي ويعطل عمل العقل.
- مؤسسة الزواج وما يتصل بها من أحكام وقواعد.
- حماية المال بمعناه الواسع وتحريم اتلافه وتحريم العدوان على أموال الآخرين.
- الجهاد للدفاع عن الأهداف السابقة.

ب- **الحاجيات:** وتشمل الأفعال والأشياء التي لا تتوقف عليها صيانة تلك الاركان الخمسة، ولكن تتطلبها الحاجة لأجل التوسعة ورفع الحرج. وتحسن الاشارة الى أن وسائل العيش وصوره قد تحول بعض الاعمال أو الأشياء من صنف لآخر.

ومن الأمثلة التي يمكن أن تساق لهذه الفئة: اكتساب المعرفة وتشجيع التربية والتعليم وتنمية الثروة العامة والخاصة، وطباعة الكتب المتعلقة ببعض الضروريات.

جـ- **التكميليات:** وتشمل الأعمال والاشياء التي تتجاوز حدود الحاجيات أو بعبارة أدق تشمل الامور التي لا تتحرج الحياة و لا تصعب بتركها، ولكن مراعاتها مما يسهل الحياة أو يحسنها او يجملها، ومن أمثلتها: الاعمال المتصلة بمكارم الاخلاق ومحاسن العادات، وتحسين نوعية العمل والانتاج(١٠).

ان القرآن الكريم لا ينظر الى الانسان فردا، وهو يأمره بالعدل والاحسان والبر وصلة الرحم وأداء الامانات الى أهلها والوفاء بالعهد والصدق والتواضع، وينهاه عن العقوق والجور والبغي والفجور وقطع الأرحام، وعن المن والرياء والأذى والفساد.

ان مثل هذه الأوامر والنواهي، لا تتعلق بتعامل الانسان مع نفسه، وانما هو التعامل مع الناس، فليس الانسان بحيث يبر ويعف ويفي ويصدق ويصلح، أو يخون ويفسق ويعق ويظلم ويزور ويعتدي ويطغى في نطاق فرديته الخاصة(١١)،

- "ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى، وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون. وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا، ان الله يعلم ما تفعلون" (١٢).
- "ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، ان الله نعّما يعظكم به، ان الله كان سميعا بصيرا"(١٣).
- "ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً، وقضي ربك الا تعبدوا الاّ إياه وبالوالدين احساناً، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربّياني صغيراً".
- "ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا. ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده، وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا".
- "ولا تمش في الارض مرحا، انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا"(١٤).

اما السنة النبوية، فهي ايضا مليئة بالشواهد المؤكدة على تلك الحقائق.

الاسلام يحدث ثورة معرفية:

ان كثيرا من الناس ينسون -أو يتناسون- ان القرآن الكريم قد احدث ثورة ثقافية عارمة لم يشهد لها الناس مثيلا لا من قبل لا من بعد. لقد انقذت هذه الثورة البشرية من الفرقة والانقسام، ومن الظلم والبغي والعدوان، ومن التخلف الثقافي الذي عقد الحياة وخلق فيها الكثير من المشكلات.(١٥)

ويصور بعض المفسرين للقرآن الكريم عملية الانقاذ هذه فيقولون: هدى الله بهذا القرآن العرب، وهدى بدعوتهم اليه اعظم شعوب العجم، فكانوا به أئمة الامم، فبالاهتداء به قهروا اعظم دول العالم المجاورة لهم، ثم فتحوا الكثير من ممالك الشرق والغرب حتى استولوا على بعض بلاد اوربا والفوا فيها دولة عربية، دولة كانت زينة الارض في العلوم، والفنون والحضارة، والعمران.

كما يقولون ايضا: صلحت انفس العرب بالقرآن اذ كانوا يتلونه حق تلاوته، فرفع انفسهم وطهرها من خلافات الوثنية المذلة للنفوس المستعبدة لها، وهذب اخلاقها واعلى هممها وارشدها الى تسخير هذا الكون الارضي كله لها، فطلبت ذلك، فارشدها طلبه الى العلم بسنته تعالى فيه من: أسباب القوة والضعف والغنى، والعز والذل. وهداها ذلك الى العلوم والفنون، والصناعات، فأحيت مواتها وابدعت فيها ما لم يسبقها اليه غيرها.(١٦)

ومن الادوات الهامة التي استطاع بها الاسلام ان يفعل ذلك، تلك المكانة الرفيعة التي احتلتها المعرفة فيه وما احدثه فيها من ثورة تمثلت فيها ابعاد الثورة من حيث الشمول والجذرية والسرعة. ومن هنا حق للغزالي ان يؤكد ان اشرف الصناعات بعد النبوة "افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم".(١٧) وهو يستند في ذلك الى ان شرف الصناعات يعرف بثلاثة امور:

إما بالإلتفات إلى الغريزة التي بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية، اذ تدرك الحكمة بالعقل، واللغة بالسمع، والعقل اشرف من السمع، واما بالنظر الى عموم النفع، كفضل الزراعة على الصياغة، واما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة، اذ محل احدهما الذهب، ومحل الآخر جلد الميتة. وليس يخفي ان العلوم الدينية -كما يرى الغزالي- وهي فقه طريق الآخرة، انما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء، والعقل اشرف صفات

الانسان. واما عموم النفع، فلا يستراب فيه، فان نفعه وثمرته سعادة الآخرة. واما شرف المحل، فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم، واشرف موجود على الارض جنس الانس.

واذا كان كلام الغزالي يكاد ينصرف الى العلوم الدينية وحدها، ويكاد يحصر الهدف في الآخرة، الا اننا سنتبين من خلال الصفحات التالية، ان العلم المطلوب في الاسلام متعدد الآفاق، متباين المجالات، وان الطريق الى الآخرة لا بد ان يمر بالدنيا.

كذلك نجد ابن خلدون يبرز خاصية هامة في خلق الانسان، وهي الخاصية المعرفية؛ فإذا كانت جميع الحيوانات قد شاركته في كثير من الجوانب، الا انه "تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه، والاجتماع المهيء لذلك التعاون، وقبول ما جاءت به الأنبياء عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاح أخراه؛ فهو مفكر في هذا كله دائما، لا يفتر عن الفكر طرفة عين، بل اختلاج الفكر اسرع من لمح البصر، عن هذا الفكر تنشا العلوم و المعارف والصنائع، ثم لاجل هذا الفكر وما جبل عليه الانسان بل الحيوان من تحصيل ما تستدعيه الطباع فيكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس عنده من الادراكات فيرجع الى من سبقه بعلم، او زاد عليه بمعرفة فيلقن ذلك عنهم ويحرص على اخذه وعمله". (١٨)

وانه ليسترعى الانتباه، ان القرآن الكريم يزخر بمئات الآيات التي تشيد بالعلم وتحض على التفكير وتسخر بالجهل وتبطل العقل، وحسبنا ان نمثل بهذه الكلمات ومشتقاتها: (١٩)

- فقد جاءت مادة العلم مرادا بها علم الناس لا علم الله في نحو ست مئة آية.
- والرأي بمعنى العلم في نحو ثمانين.
- والنظر بمعنى العلم في نحو ثلاث وعشرين.
- والابصار بمعنى العلم في نحو ثلاث وعشرين.
- وترددت مادة العقل في تسع واربعين.
- والقلب بمعنى العقل في مئة وثلاث وثلاثين.

- والنهى بمعنى العقل في ثنتين.
- والفؤاد بمعنى العقل في ست عشرة.
- والالباب بمعنى العقول في ست عشرة.
- ووردت مادة الفكر في ثماني عشرة.
- وتكررت مادة الفقه بمعنى الفهم في عشرين.
- والتدبر في اربع.
- والفهم في واحدة.
- والرشد في تسع عشرة.
- والذكر في نيف ومائتين.
- والحكمة في عشرين.
- والعبرة في سبع.
- وذكرت مادة القراءة في سبع عشرة.
- والتلاوة في ثنتين وستين.
- والكتابة بمعنى الخط في نحو ثلاث مئة.
- والعلم في اربع.
- والصحف في ثمان.
- والسطر ومادته في خمس.
- والدرس ومادته في ست.

الخبرة كمصدر اساسي للمعرفة:

واذا كان الفلاسفة قد انقسموا الى فئتين بصدد القضية الخاصة بطبيعة المعرفة ومصدرها، بحيث ذهبت اولاهما الى القول بـ (فطريتها) مثل افلاطون، وذهبت ثانيتهما الى اعتبارها (كسبية) مثل بيكون وهيوم، الا اننا نجد الاسلام يؤكد على الجانبين معا. فحينما عرض القرآن الكريم لعلاج هذه المشكلة، فرق بين امرين هامين هما: المعرفة الخارجية، والاستعداد الذاتي، فالمعرفة الخارجية هي

المعارف المستفادة التي تنفذ الى الفكر من العالم الخارجي (الخبرة). والاستعداد الذاتي هو التكيف الطبيعي للتجاوب مع هذه المعارف الوافدة وتلوين هذه المعارف بما يتلاءم مع الاستعداد الفطري للانسان.(٢٠)

والمعرفة المستمدة من الخبرة هي صورة الكون التي تنفذ الى العقل عن طريق الحواس وتتلون فيه بحسب الطريق الذي تجتازه من العصب الحسي وبحسب التكوين الطبيعي للعقل ولما كانت وسائل المعرفة هي الحواس والعقل، فمن المسلم به انها لا يمكن ان تؤدي وظيفتها الا بعد اتمام خلقها. اما الاستعداد الذاتي، فيتم مع عملية الخلق نفسها، ولهذا اعلن القرآن الكريم بصراحة تامة، ان المعرفة الخارجية لا سبيل اليها قبل الولادة بأي حال من الاحوال، قال تعالى: (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعملون شيئا، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون).(٢١)

فالله جلت قدرته يبدأ خلق الجنين في خليته الاولى، ثم يطوره من حال الى حال، ثم ينشئه خلقا سويا آخر: "ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاما، فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر". (٢٢) وفي هذه المراحل كلها، لا يمكن ان يكون الجنين شيئا ذا بال، فضلا عن ان تكون له معرفة طبيعية فطرية، قال تعالى: "هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا. انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه، فجعلناه سميعا بصيرا. انا هديناه السبيل، إما شاكرا واما كفورا".(٢٣)

وقد اخبرنا الله سبحانه بما للبيئة من آثار عميقة، فقال جل شأنه: "والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا، كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون" (٢٤) ونوه سبحانه بفضل الاماكن على بعضها الآخر فأشاد بفضل مكة وبيت المقدس وسيناء، وهي مهابط الانبياء فقال جل شأنه "والتين والزيتون وطور

سنين، وهذا البلد الامين، لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم، ثم رددناه اسفل سافلين، الا الذين آمنوا وعملو الصالحات فلهم اجر غير ممنون".(٢٥) وارض التين والزيتون هي بيت المقدس أو ارض فلسطين، وفيها يقول تعالى: "يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم". (٢٦) ويقول جل شأنه: "سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا".(٢٧) ومَنّ الله على اهل مكة بحرمها الأمين "او لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا".(٢٨).

كذلك نجد ابن مسكويه، بجانب اقراره بالاساس الفطري، ينادى بالاساس الخبري، ويتضح هذا من قوله ان الطباع المذمومة التي يولد بها الانسان ليست لها صفة الجبرية او الالزام، بل انها قابلة للتعديل والتحوير، ومن هنا تبرز، في نظر ابن مسكويه اهمية التربية الخلقية للأطفال، اذ ان الطباع لو اهملت، ولم ترض بالتأديب والتقويم، نشأ كل انسان على طباعه، وبقي عمره كله على الحال التي كان عليها في طفولته.(٢٩)

والتربية الاخلاقية امر هام وخطير في نظر ابن مسكويه، فان الانسان اذا علم مثلا ان الشهوات الرديئة ليست فضائل بل رذائل تجنبها، وكره ان يوصف بها، واذا ظن انها فضائل، لزمها وصارت له عادة، بل ان السعادة عنده لا يرتقي اليها الانسان إلا بعد ان يعلم أجزاء الحكمة كلها. ومن ظهر من الناس انه يصل اليها بغير تلك الطريقة وعلى غير ذلك المنهج، فقد ظن باطلا، وبعد عن الحق بعدا كثيرا. وليتذكر في هذا الموضع الخطأ العظيم الذى وقع فيه قوم ظنوا انهم يدركون الفضيلة بتعطيل القوة العالمة واهمالها. (٣٠).

ولا يعني هذا ان ابن مسكويه يردد المبدأ السقراطي: الفضيلة معرفة والرذيلة جهل، بل يضيف الى المعرفة شرطا آخر هر الارادة؛ اذ ليس في معرفة الفضائل الكفاية بل الكفاية في العمل بها، والعمل يصدر عن الإرادة والاختيار.

انسانية المعرفة:

ولأن من شروط (الاجتماع) الذي عليه مدار البحث، انه (انساني) بالطبيعة، يصبح الركن الاساس لاجتماعية المعرفة هو مدى ما يمثله (الانسان) من قيمة تدور حولها الاعمال المختلفة.

لقد اراد الله للانسان أن يكون خليفته في الارض، فمنحه القدرة العقلية على التعلم، والمقدرة الجسدية على التنفيذ والعمل والابداع، والارادة (الحرة) لاختيار اسلوب الحياة التي يقوده اليها فكره ودوافعه النفسية والجسدية، ولكي لا يحس الانسان (بالدونية) ولا تدور في خاطره أية فكرة عن (سلبية) دوره في العالم، رفعت مكانته الى اعلى مصاف وطلب من الملائكة ان يسجدوا له.. وتلك هي اسس تقود، ولا ريب، الى تصور دور الانسان في العالم كقوة فاعلة مفكرة مريدة، منفذة مستقلة، مفضلة وهي الامور التى لا بد منها لأي ابداع حضاري على الارض. (٣١)

ولا بد من الاشارة هنا الى ان مسألة (الاستخلاف) تتكرر اكثر من مرة في القرآن الكريم. الامر الذي يؤكد مدى ثقلها في تصميم الهيكل الحضاري للرؤية الاسلامية "هو الذى جعلكم خلائف في الارض، فمن كفر فعليه كفره، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا، ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا". (٣٢) و قال:" عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون". (٣٣) و " ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون". (٣٤) و " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون". (٣٥)

لقد تمثل وحي الله للانسان في آيات مكتوبة وآيات غير مكتوبة. الآيات المكتوبة نقرأها في الكتب المقدسة التي توجها واختتمها القرآن الكريم، والآيات غير

المكتوبة نقرأها في الكون والطبيعة والتاريخ والانسان. والانسان آية الله ومعجزته الكبرى.

ويتعرف الانسان الى الله في بدائع خلقه اي في ابداعيته، وتعرف الانسان على ابداعية الله هو الدليل على عقلانية الانسان وابداعيته، فلو لم يكن الانسان عقلانيا، لما استطاع التعرف على الخالق المبدع، ولما تمكن من التواصل معه. ان وحي الله في كتابه يوقظ في الانسان عقلانيته، ان القرآن الكريم يصف الوحي بأنه تذكرة. انه تذكرة للانسان من حيث هو انسان. انه كتاب الله للانسانية جمعاء لا للعرب وحدهم، وهذا الخطاب للانسان من حيث هو انسان للانسانية في كل زمان ومكان يعبر عن النزعة (الانسية) العامة في كتاب الله تعالى. (٣٦)

واذا كان الله عز وجل قد استخلف الانسان على الارض ليقوم بتعميرها واستثمارها، واذا كان كل ما خلق الله انما هو مسخر للانسان، فان الانسان لا يمكن ان يقوم بواجب الخلافة الا بقدر ما يتزود به من العلم والحكمة، ومن البصر والخبرة. ومن هنا نجد القرآن يتجه دائما الى تزويد الانسان ليجعل منه الانسان القادر على اعمار هذا الكون والصالح لممارسة الحياة في اية مرحلة من المراحل التي تمر فيها هذه الحياة. (٣٧)

وهذا الذى اعلنه القرآن الكريم منذ اكثر من الف واربعمائة عام هو الذي انتهى اليه المحدثون اليوم. انهم يقولون لنا: ان التنمية انما تبدأ بالانسان لتنتهي الى الانسان؛ ويعنون بذلك ان الانسان انما ينمى من اجل صنع التنميات الاخرى، وان حصيلة هذه التنميات الاخرى انما تكون لصالح الانسان، فهو الذى يجني ثمارها. وقريب من هذا يقوله المفسرون للقرآن الكريم.

انهم يقولون: الانسان سيد هذه الارض، صلاحها وفسادها منوطان بصلاحه وفساده، وليست الثروة ولا وسائلها من: صناعة وتجارة وزراعة، هي المعيار لصلاح البشر، ولا الملك ووسائله من القوة والسياسة. ان البشر هم الذين اوجدوا كل وسائل

الملك والحضارة من علوم وفنون واعمال، بعد ان لم تكن، فهي اذن نابعة من معين الاستعداد الانساني تابعة له، دون العكس. (٣٨) يقول تعالى:" وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر"(٣٩)، و" ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض". (٤٠)

وثمة سؤال ملح يفرض نفسه هنا: لماذا ترك الانسان-على المستوى الطبيعي -يجهد نفسه ويبتكر ويكشف ويطور، بينما الزم - على المستوى العقائدي الديني- بالاعتماد الكلي على تعاليم السماء؟

في مجال الطبيعة والاشياء، لم يشأ الله سبحانه ان يكشف للانسان عن قوانينها؛ لأن هذا يعني اهمالا لطاقات الانسان الخلاقة، وقدرتها على الفعل والكشف والابتكار، ولو حدث ان وجد الانسان نفسه فجأة امام تكشف النواميس الطبيعية على حقيقتها، لالغيت -اذن وبشكل محتم- جل قدرته ومحاولاته الابداعية، ولأسلم نفسه لكسل فكري واتكالية لم يرد الله للانسان ان يقع في اسارها. اما العقيدة والمنهج والقيم الخلقية، فهل كان من المنطق ان تظل غامضة، وأن يسعى الانسان من نفسه للكشف عنها؟ ان هذه القيم وتلك العقيدة، وذلك المنهج، ما داما يرتبطان اساسا بالعالم الاوسع، ويمتدان الى ما وراء الحس الظاهر للعيان، ما داما ينأيان دائما عن رؤية الانسان المباشرة وحركته النسبية وحريته المحدودة، ونسبيته الحسية، فليس من السهل عليه اذن ان يترك وحده للسعي وراء اهداف لم يتهيأ للكشف عنها.(٤٢)

ان تجربة (الصواب والخطأ) تغدو مجدية في مجال التعامل مع الطبيعة؛ لانها ستعلم الانسان دوما طرائق جديدة، او تمنحه ابتكارا جديدا، وما منجزات الغرب التقنية المعاصرة سوى (تراث) بشري اسهمت في صنعه وبنائه وتطويره معظم امم الارض وشعوبها بعد ان مارست كثيرا من الصواب والخطأ، وما زال العلم الى الآن ينفي بتجربته ما اثبته بالامس، ويثبت ما سوف ينفيه غدا، ولكن هذا النفي والاثبات، وهذه الظنية التي تحكم ميادين النشاط العلمي لم تؤثر في يوم من الايام على التطور المستمر للانجازات (المدنية).

اما في المجال العقيدي والديني، فلا يمكن للانسان ان يمارس تجربة الصواب والخطأ؛ لأن هذه ستكون على حساب كينونته ووقته وجهده ومصيره في نهاية الامر، ولأنها -وهذا هو المهم- لن تقدم له (الصواب) المطلق الذي لا خطأ بعده في يوم من الايام؛ ذلك انه لا يملك (الوسائل) التي تمكنه من بلوغ هذا الصواب وتمحيصه على السواء.(٤٣)

دور الصفوة المفكرة في الهداية والاصلاح:

يقول سبحانه وتعالى: "فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم، لعلهم يحذرون"(٤٤). ودراسة هذه الآية تظهرنا على ان المطلوب هو خروج طائفة او فئة او مجموعة من الافراد من كل وحدة سكنية، او تجمع بشري او فرقة، تخرج من عند نفسها او باختيار الآخرين لها الشروط التي توضع لهذا الاختيار، تخرج هذه المجموعة من اجل التفقه في (الدين)، والتفقه في الدين هنا لا يعني ابدا دراسة هذه الكتب الفقهية فقط؛ اذ لم يكن لمثل هذه الكتب وجود في زمن النبي عليه الصلاة والسلام.

ان التفقه هنا لا يكون الا في النظام الاسلامي الذي يدعو اليه النبي عليه الصلاة والسلام.

ان التفقه هنا لايكون الا في النظام الاسلامي الذي يدعو اليه النبي العظيم مستندا في دعوته الى ما ينزل عليه ويوحى اليه من قرآن كريم. التفقه هنا ليس الا العلم الدقيق والفهم الواضح لكل هذا الذي يدعو اليه القرآن الكريم.(٤٥)

من اجل هذا الدور القيادي التنويري للصفوة المفكرة العالمة المتعلمة، افاض القرآن الكريم في مدحهم والاعلاء من شأنهم. وحسب العلماء تقديرا ان الله تعالى قرنهم بالملائكة في الاقرار بواحدانيته وعدله؛ لأنهم هم الذين يفكرون فيهديهم تفكيرهم الى الحق، وهم الذين يستطيعون ان يثبتوا بالادلة ما يجب لله تعالى من

صفات الكمال، وما يتنزه عنه من صفات النقيض،(٤٦) قال تعالى "شهد الله انه لا اله الا هو، والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط، لا اله الا هو العزيز الحكيم".(٤٧)

والعلماء هم الذين يخافون الله ويقدرونه حق قدره، قال تعالى: "ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والأنعام مختلفا ألوانه كذلك، إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ، إن الله عزيز غفور".(٤٨). ولهذا جعل الله سبحانه العلم من أسباب التفوق والامتياز والجدارة بالريادة والرياسة. يتضح هذا من ان بني اسرائيل طلبوا بعد موسى عليه السلام من نبيهم يوشع او شمعون او اشمويل ان يبعث للقتال معهم اميرا يقودهم في الحرب، ويأتمرون بأمره، فقال لهم إنني اتوقع جبنكم في القتال، فقالوا: وكيف نجبن، وقد طردنا من ديارنا وبعدنا عن أبنائنا، يريدون أن قوم جالوت الذين كانوا يسكنون ساحل البحر الابيض المتوسط بين مصر وفلسطين قد أسروا عدة مئات من بني اسرائيل.(٤٩)

ثم صح ما توقعه نبيهم، فانهم بعد أن فرض عليهم القتال، فروا الا قليل منهم. وقال نبيهم إن الله بعث لكم طالوت ليكون ملكا، فأنفوا أن يتملك عليهم وهو فقير ولا بد للملك في نظرهم من أن يكون غنياً ذا مال كثير، وزعموا أنهم أحق بالملك منه، فقال لهم نبيهم إن الله قد اختاره، وهو أعلم منكم بما يصلحكم وليس لأحد أن يعارض اختيار الله، وقد منح طالوت قوة في الجسم، وسعة في العلم، سواء كان علم الدين ام علم الحرب ام هما معا، والله يؤتي ملكه من يشاء، وهو سبحانه واسع الفضل والعطاء، ومعنى هذا أن العلم من أسباب الامتياز والعلاء.

قال تعالى: "وقال لهم نبيهم إنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكا، قالوا: أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال: إنّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم، والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم".(٥٠)

من اجل هذا حرص علماء التربية المسلمين على ان يرسموا لهذه الفئة الجليلة خطوات السير الصحيح ايمانا بأنهم رأس الامة، اذا صلح الرأس ساعد ذلك على صلاحية الجسد كله، وهذا ما عرف في الادب التربوي الاسلامي بـ (آداب المعلمين) مع ضرورة التنبه الى ذلك الترادف الذي قام بين (العلماء) و (المعلمين) في اغلب الاحوال، والاستثناء الوحيد هو معلمي الكتاتيب الذين كان من الصعب وصفهم بالعلماء.

ويطول بناء المقام لو حاولنا ضرب الامثلة بما ساقه التربويون من آداب يجب ان يتحلى بها العلماء، ولذلك سنقتصر على واحد منهم فقط هو ابو بكر الآجرى، احد علماء بغداد في القرن الرابع الهجري؛ اذ كتب كتابا خصصه لموضوع (اخلاق العلماء) ذكر منها: (٥١)

١- ان يسعى دائما في طلب العلم حيث انه يعلم ان الله فرض عليه عبادته، "العبادة لا تكون الا بعلم".

٢- ان يحرص على مخالطة ثلاثة: اما رجل يتعلم منه خيرا ان كان اعلم منه، او رجل هو مثله في العلم فيذاكره العلم لئلا ينسى مالا ينبغي ان ينساه، أو رجل هو اعلم منه فيعلمه.

٣- اذا وقف موقف المتعلم فعليه ان يجالس اساتذته بأدب وتواضع ويسألهم برفق ولا يضجرهم في السؤال، وان يعترف بفضلهم عليه، وان غضبوا عليه لم يغضب منهم، وعليه الا يناظرهم مناظرة من يريهم انه اعلم منهم، وانما غايته البحث لطلب الفائدة منهم.

٤- فاذا اشتهر بانه من اهل العلم، واحتاج الناس الى ما عنده من علم، الزم نفسه التواضع للجميع، العلماء وغير العلماء. فاما تواضعه لمن هم مثله في العلم؛ فلأنه يؤدي الى محبة تنبت له في قلوبهم فتجعلهم يحبون قربه، واذا غاب عنهم حنت اليه قلوبهم. واما تواضعه للعلماء الذين هم اعلى منه في العلم، فهو امر واجب عليه؛ لأن العلم يقتضي ذلك. واما تواضعه لمن هو دونه في العلم؛ فلأن شرف العلم له عند الله وعند اولي الالباب . . الى غير ذلك من صفات.

ولعل احد الاسباب الرئيسة لأزمة الشباب المسلم. في الوقت الحاضر، افتقاده لمثل هذه الفئة الصالحة من العلماء والمفكرين، فقد اصبح كثير من (العلماء الكبار) ادوات في يد السلطان، ان شاء ان ينطقوا بما يريد من شأن، نطقوا وافصحوا، وان شاء ان يصمتوا حيث يجب البيان، ويحرم الكتمان، فعلوا، والساكت عن الحق كالناطق بالباطل كلاهما شيطان ينبت الفساد.(٥٢)

دعي احد العلماء اللامعين الى ندوة تلفزيونية في احد الاقطار، تدور المناقشة فيها حول موضوع (تحديد النسل) في نظر الشريعة الاسلامية، وكانت دهشة الرجل المكلف بادارة الندوة بالغة حين قال هذا العالم له: هل تهدف الندوة الى تأييد التحديد أو معارضته حتى أهيىء نفسي.

ورحم الله العلماء السابقين الذين قال احدهم للباشا: ان الذي يمد رجله لا يمد يديه، وليت هؤلاء حين قل زادهم من اليقين والتقوى، كثر زادهم من العلم والفقه، كلا لقد احتك الشباب الحريصون على التفقه في دينهم بكثير من العلماء اللامعين في سماء الخطابة او الكتابة، فلم يجدوا لهم قدما راسخة في علم الكتاب والسنة، ووجدوا ما عندهم من العلم لا يشفي عِلّةً، ولا ينقع غُلة.

ارتباط المعرفة بالعمل:

كذلك تتبدى (اجتماعية المعرفة) في الاسلام في تلك العروة الوثقى، التي حرصت عليها مصادر التربية الاسلامية واصولها، بين المعرفة والعمل؛ بتأكيدها وابرازها أن يوم الحساب هو يوم العدل، وعمل الانسان، لا ماله، هو ميزان الحساب وميزان العمل، ولا يحاسب الانسان على ما يكون ولا على ما يملك، بل على ما يعمل، ولا يحاسب على ما ملك من مال، بل على ما فعل بما يملك، والمجازه العلمي اهم من غناه المادي.(٥٣)

ان للعمل مدلوله الديني الخلقي في القرآن الكريم، ولكن الانسان العامل المنتج تفوق منزلته منزلة الانسان غير العامل وغير المنتج. وترفع بعض احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم العمل فوق العبادة، ويروى انه عليه السلام شاهد ذات يوم، وهو في جمع من صحابته، شابا يهرع في الصباح الباكر الي عمله، فتساءل بعض الصحابة عما اذا كان الاولى بمثل هذا الشاب ان يبكر إلى الصلاة ام إلى العمل، فناشدهم عليه السلام ان لا يلوموه على ما يفعل، لانه يبذل الجهد ليتقي الحاجة، وليلبي حاجة عائلته، فهو في هذا على صراط الله المستقيم.

اننا نقرأ في كتاب الله الدعوة الشاملة للعمل "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون(٥٤)". ونستمع الى الرسول المعلم عليه الصلاة والسلام وهو ينادينا (اذا قامت الساعة وفي يد احدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها فله بذلك آجر)(عمدة القاري في شرح البخاري)، فنعرف جيدا كيف ان الدور الحضاري للانسان المسلم يقوم على العمل والابداع المتواصلين منذ لحظة الوعي الاول حتى ساعة الحساب، ونعلم تماما كيف أن الحياة الاسلامية انما هي فعل ابداعي مستمر(٥٥).

ويبلغ من تأكيد القرآن على العمل والجهد البشري لإعمار العالم، أن ترد اللفظة بتصريفاتها المختلفة فيما يزيد على الثلاثمائة والخمسين موضعا، وهي كلها تشير -سلبا وايجابا- الى أن المحور الأساسي لوجود الانسان فردا او جماعة، على الارض هو العمل الذي يتخذ مقياسا عادلا لتحديد المصير في الدنيا والآخرة، وهو (موقف) ينسجم تماما مع فكرتي (الاستخلاف والتعمير) على الارض.

وعندما عدد الغزالي الوظائف التي ينبغي ان يقوم بها المعلم المرشد، جاء من ضمنها ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالابصار، وأرباب الابصار أكثر، فاذا خالف العمل العلم منع

الرشد.وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه، فانه سم مهلك، سخر الناس منه واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه، فيقولون لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به. ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود، فكيف ينتقش الطين بما لانقش فيه، ومتى استوى الظل والعود أعوج؟

ولذا قيل في المعنى:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال تعالى: "أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم"(البقرة ٤٤)، ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكثر من وزر الجاهل، اذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها، ولذلك قال علي رضى الله عنه: قسم ظهري رجلان: عالم متهتك وجاهل متنسك، فالجاهل يغر الناس بتنسكه، والعالم يغرهم بتهتكه.

وفي رسالة (أيها الولد) يؤكد الغزالي أيضا على ضرورة ربط المعرفة بالعمل، فنصح المتعلم قائلا:(٥٦)

"لا تكن من الاعمال مفلسا، ومن الاحوال خاليا، وتيقن أن العلم المجرد لا يأخذ اليه مثاله، لو كان على رجل برية عشرة أسياف هندية مع اسلحة أخرى، وكان الرجل شجاعا وأهل حرب، فحمل عليه أسد مهيب، فما ظنك، هل تدفع الأسلحة شره منه بلا استعمالها او ضربها؟ ومن المعلوم أنها لا تدفع الا بالتحريك والضرب، فكذا لو قرأ رجل (مائة الف) مسألة علمية وعلمها وتعلمها ولم يعمل بها لا تفيده الا بالعمل، ومثله لو كان لرجل حرارة ومرض صفراوي يكون علاجه . . (بكذا) . . (فلا يحصل) البرء الا باستعمالها . . ولو قرأت العلم مائة سنة وجمعت ألف كتاب، لا تكون مستعدا لرحمة الله الا بالعمل، كما قال الله تعالى "وان ليس للانسان الا ما سعى"(النجم: ٣٩)، ؛فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً " (الكهف: ١١٠)"جزاء بما كانوا يعملون"(السجدة: ١٧)، "جزاء بما كانوا

يكسبون"(التوبة: ٨٢)، "ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا"(الكهف: ١٠٧)، فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، فسوف يلقون غيا، الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا"(مريم: ٥٩-٦٠).

اما ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ، فقد كتب في رسالة بعنوان (لفتة الكبد الى نصيحة الولد) ينصح ابنه (٥٧):

"اعلم يا بني -وفقك الله انه لم يميز الآدمي بالعقل الا ليعمل بمقتضاه . . انك مخلوق مكلف، وان عليك فرائض أنت مطالب بها".

ان طلب الفضائل نهاية مراد المجتهدين، ولكن الفضائل تتفاوت باختلاف الناس، فمنهم من يرى الفضائل في الزهد في الدنيا، ومنهم من يراها التشاغل بالتعبد، وفي رأي ابن الجوزى أن الفضائل الكاملة ليست الا الجمع بين العلم والعمل، فاذا حصلا، دفعا صاحبهما الى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وحركاه الى محبته والشوق اليه. ان بلوغ الغاية القصوى -وهي رضى الله في نظر ابن الجوزى -ليس سهل المنال، فليس كل مريد مرادا، ولا كل طالب واجدا، ولكن على قدر اهل العزم تأتى العزائم، وعلى العبد الاجتهاد "وكل ميسر لما خلق له"(البخاري ومسلم).

الوظيفة الخلقية للمعرفة:

واذا كانت المعرفة قد جاءت في مواضع كثيرة من القرآن بلفظ (العلم)، الا أن المصطلح الانسب لمضمونها الاسلامي هو (الحكمة)، وذلك لارتباطها بضرورة تحقيق مهام خلقية في سلوك العارفين، اذ ليس كافيا أن ترتبط دائما بـ (العمل) كما قدمنا، ذلك أن (العمل) من الاتساع بحيث يشمل كل سلوك، ومن هنا كان حرصنا على أن نفرد للوظيفة الخلقية جزءا خاصا، وبخاصّة وأن العمل في كثير من الاحيان يرد في القرآن مقرونا بـ (الصالح).

ونحن اذا نظرنا الى معنى الحكمة وجدنا آراء مختلفة، فقد ذكر القرطبي عند تفسير قوله تعالى "يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا"(٥٨) المعاني الآتية:
(الاصابة في القول والعمل، حكمة العقل في الدين، معرفة بدين الله والفقه فيه والاتباع له، أصل الحكمة، ما يمتنع به عن السفه)(٥٩).

وذكر ابن كثير عند تفسير الآية السابقة المعاني الآتية: المعرفة بالقرآن، العلم والفقه والقرآن، خشية الله، العقل. وقال ابن كثير بعد ذلك، وقال السدى، الحكمة النبوة، والصحيح كما قال الجمهور ان الحكمة لا تختص بالنبوة، بل هي أعم منها وأعلاها النبوة.

وفسرها أحد علماء اللغة بأنها "معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم"، وذكر التهانوي في كتابه كشف اصطلاحات الفنون كثيرا من المعاني لكلمة الحكمة أهمها أنها: علم الحكمة وتشمل بيان الحكمة العلمية من الحكمة الخلقية والحكمة السياسية والمدنية وبيان الحكمة النظرية ومنها معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به والتكاليف الشرعية (٦٠).

ومن تلك المعاني المهمة التي ذكرها التهانوي أيضا، فائدة ومصلحة تترتب على الفعل، ومنها اخيرا المعنى العلمي "وهو علم بما يكون وجوده بقدرتنا واختيارنا، والحقيقة أن الحكمة تتضمن معظم تلك المعاني التي ذكرها العلماء، ولكن المعاني التي نختصها بالذكر هنا هي أن الحكمة علم على العلم الذي يتناول معرفة قيم الأشياء وقيم المبادىء الاسلامية، ومعرفة ما هو ممكن تحقيقه وما هو غير ممكن تحقيقه بقدرتنا واختيارنا، ومعرفة أسرار الموجودات والمقاصد من ايجادها وخلقها على ذلك النحو دون آخر.

وأشار الغزالي باستفاضة الى ما تؤدي اليه المعرفة من الاستقامة الخلقية، فقال: ان المتعلم عندما يمتص العلوم يكتسب بذلك قوة تمكنه من التغلب على

رغباته الغريزية؛ فالنفس البشرية في رأي علماء المسلمين، مسايرين في ذلك فلاسفة اليونان، مكونة من قوى مختلفة "كقوة التمييز أو النطق، والقوة الغضبية التي تدفع الى الغضب والنجدة والاقدام على الاهوال والشوق إلى التسلط والترفع وضروب الكرامات، والقوة الشهوية التى تظهر في طلب الغذاء وضروب اللذات الحسية، وهذه القوى الثلاث متباينة تقوى احداها وتضعف بحسب المزاج والعادة والتأديب". فالقوة الناطقة تقوى بالعلوم والتجارب؛ اذ أن ذلك يكسبها عقلا يؤدي الى قمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة، فالطبيب قد يكون اقدر على الاحتماء من بعض الاطعمة الضارة بسبب علمه بخواص الأطعمة، وقد لا يقدر من يساويه في العقل على ذلك اذا لم يكن طبيبا، وان كان يعتقد على الجملة فيه المضرة، ولكن اذا كان علم الطبيب أتم، كان خوفه أشد، فيكون الخوف جندا للعقل وعدة له في قمع الشهوة وكسرها، وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصي من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصي، واعني به العالم الحقيقي"(٦١).

ويستعين أخوان الصفا بالأمثلة والتشبيهات لتأكيد وظيفة المعرفة في اكساب السلوك الاستقامة الخلقية، فشبهوا الروح في اثناء اقامتها بالجسد بنمو الجنين في الرحم. فكما أن الجنين لا يخرج الى الوجود حتى يكمل نموه، فكذلك الروح تقوى نواحي قدرتها المختلفة وتكتسب تماسكا مدة اقامتها بالجسد، ففي تلك الفترة تنشط قوى الروح الكامنة بتأثير اكتساب المعرفة وممارسة الفضيلة، وهذا النمو لا يتحقق الا عن طريق الجسد، وهكذا عندما يحل الوقت الذي فيه تغادر الروح الجسد، تكون قد وقفت على سر بدايتها ونهايتها واتمت مرحلة نموها، وعندئذ يمكنها أن تستأنف حياتها منفصلة عن المادة، وتحرر من قيودها فتحلق في السموات الواسعة حرة طليقة، حتى تتصل في النهاية بالحقائق الروحية والاجسام النورانية. أما اذا لم تتم الروح نموها في أثناء اقامتها بالجسد بسبب حرمانها من العلم، فهي تصبح عاجزة كالطفل الذي لا يكتمل نموه فيحرم من الاستمتاع بالحياة الكاملة، اذن فبدون القوة والتماسك عن طريق العلم وممارسة الفضيلة لا تتمكن الروح من الصعود

الى الملكوت الأعلى، ويرى أخوان الصفا ان العلوم الدينية لا تنفرد بتحقيق الغرض، وانما تشترك علوم كثيرة في ذلك (٦٢).

وفي كتابه (التنبيه على سبيل السعادة)، يرى الفارابي ضرورة توفر ما يمكن أن نسميه بـ (الوعي) حتى يحصل الفرد على السعادة بمعنى انه لا يمكن للانسان أن يكون سعيدا، حتى ولو توفرت له تلك الأشياء، بدون توفر الوعي اللازم والمتوفر لتحصيله لها. ورحم الله محمد اقبال عندما ركز على ضرورة تأكيد الذات للانسان، بمعنى كونها ذاتا واعية، وربط بين ذلك وبين نصيب الانسان من السعادة (٦٣).

ولا يتوقف الفارابي عند هذا الحد من تصويره للسبيل الى ادراك السعادة، بل نراه يقدم مثالا عمليا من خلال استعراض امتحان يمكن للمرء أن يمر به فينجح ويحصل سعادته، كما يمكن له عكس ذلك فيفشل وتكون الشقاوة من نصيبه، ذلك الامتحان يقيمه الفارابي من خلال تصوير العلاقة بين الانسان واللذة، بما لها من سيطرة على الانسان قد تعميه مع غياب الوعي عن الامتثال للقانون، فيربط مثلا بين اللذة وبين الامر القبيح، فيأتي القبيح، كما يربط بين غياب اللذة أو الالم وبين الامر الحسن فلا يأتيه. ومن هنا تنجح اللذة في ابعاد الانسان عما هو حسن وفاضل، وبالتالي في ابعاده عن سعادته الحقيقية، في حين ان الانسان الواعي يدرك ما هو حسن وفاضل، وما هو قبيح ورذل بغض النظر عن الارتباط بين كل هذا وبين اللذة أو عدم ارتباطه(٦٤).

دور المعرفة في الاصلاح الاجتماعي:

واذا كان للمعرفة في الاسلام دور في تهذيب الاخلاق، فان هذا ربما يوحي بأن آثارها لا تتعدى دائرة الفردية، ومن ثم وجب النظر في آثارها على المستوى الأكبر وهو التغيير الاجتماعي بهدف التطوير والاصلاح والتنوير.

والحق ان القرآن الكريم نفسه يجعل المعرفة شرطا أساسيا لعمليات التغيير الاصلاحي للمجتمع. انه يتطلب هذه المعرفة في الانسان المسلم، ويراه غير جدير

باسم المسلم الا اذا حصل على قسط وافر من هذه المعرفة نتيجة للبحث والنظر واستثمار العقل فيما خلقه الله من أجله، يتطلب القرآن ذلك في المسلم بصفة عامة، فما بالنا حين يكون هذا المسلم من الداعين للدين، والممنمين للثقافة، والموجهين للحياة. إن الأمر هنا يصبح من الواجبات الدينية (٦٥).

ولعل أهم خطوة لكي يمارس الانسان ما يعرفه من أجل التغيير الاجتماعي هي الهجوم الناقد على المتوارث من أفكار وعادات وتقاليد بغية فحصه ونفي ما يكون عقبة على طريق العمل الصالح. والاسلام لا يقبل من المسلم أن يلغي عقله ليجري على سنة آبائه وأجداده، ولا يقبل منه أن يلغي عقله خنوعا لمن يسخره باسم الدين في غير ما يرضى العقل والدين، ولا يقبل منه أن يلغي عقله رهبة من بطش الأقوياء وطغيان الأشياء، ولا يكلفه في أمر من هذه الأمور شططا لا يقدر عليه.

ان الاسلام ليأبى على المرء أن يحيل اعذاره على آبائه واجداده، كما يأبى له أن تحال عليه الذنوب والخطايا من أولئك الآباء والاجداد، وانه لينعى على الذين يستمعون الخطاب أن يعفون أنفسهم من مؤنة العقل لأنهم ورثوا من آبائهم واجدادهم عقيدة لا عقل فيها (٦٦).

- "وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون" (٦٧).

- "واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول، قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون" (٦٨).
- "وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بها، قل أن الله لا يأمر بالفحشاء، اتقولون على الله مالا تعلمون"(٦٩).

وقد نهى الائمة الأربعة عن تقليدهم وذموا من أخذ أقوالهم بغير حجة، فقال الشافعي: الذي يطلب العلم بلا حجة، كمثل حاطب ليل يحمل أفعى تلدغه وهو لا

يدري. وقد فرق أحمد بين التقليد والاتباع، فقال أبو داود: سمعته يقول: الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أصحابه، ثم هو بعد في التابعين مخير، وقال أيضا: لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الثوري ولا الأوزاعي، وخذ من حيث أخذوا ومن قلة فقه الرجل أن يقلد في دينه الرجل، وقال أبو يوسف: لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا.(٧٠)

وسواء في محو مخلفات الماضي الموروث غير الصالحة أو في بناء جديد، فلا بد من التدرج لأنه سنة كونية، وسنة شرعية أيضا، ولهذا خلق الله السموات والأرض في ستة أيام؛ وكان قادرا أن يقول: كوني فتكون، ولكنه خلقها في أيام ستة من أيام الله تعالى، أي في ستة أطوار أو أزمنة يعلمها الله، فليست هي أيامنا هذه إذ هي قبل خلق الشمس والأرض وما يتبعهما من ليل أو نهار(٧١).

وكذلك نرى خلق الله من انسان وحيوان ونبات... كلها تتدرج في مراحل حتى تبلغ نماءها وكمالها.

هذا من الناحية الكونية، وأما من الناحية الشرعية، فقد بدأ الاسلام بالدعوة الى التوحيد وتثبيت العقيدة السليمة، ثم كان التشريع شيئا فشيئا، فقد فرضت الفرائض وحرمت المحرمات بالتدريج، كما هو ثابت في فرض الصلاة والصيام والزكاة وتحريم الخمر وغيرها، ولهذا افترق القرآن المكي عن القرآن المدني.

واتجاه المعرفة في الاسلام الى التغيير الاجتماعي، كان يستتبع، بالاضافة الى مراعاة التدرج، الأخذ بعين الاعتبار ما بين المجتمعات من أوجه اختلاف وصور تباين، حتى لقد عرف الفقه والتشريع الاسلامي ما يمكن تسميته بتغير الاحكام وفقا لاختلاف الظروف والاحوال. قال ابن القيم:(٧٢)" وهذا فضل عظيم النفع جدا وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف مالا سبيل اليه وما يعلم أن الشريعة الباهرة لا تأتي الا به، فان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم والمصالح وهى عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها، وحكمة

كلها، وكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور، وعن الرحمة الى ضدها، وعن الحكمة الى العبث، فليست من الشريعة وان ادخلت فيها بالتأويل".

وان اعادة استقراء بعض الكتابات والمواقف التي أكدت على أهمية العمل وضرورته تبرز لنا أنه كان من أجل المجتمع، بحيث تسقط تلك الدعوى التي يتصور فيها البعض أن المعرفة في الاسلام تطلب لذاتها فقط أو من أجل هدف أخروي فحسب، ولنضع أمامنا هذا النص للعامري أحد فلاسفة الاسلام في القرن الرابع الهجري في نيسابور(٧٣):

"ان كل من آثر لنفسه هذه العقيدة، فقد ارتكب خطأ فاحشا، فان العلم مبدأ للعمل والعمل تمام العلم، ولا يرغب في العلوم الفاضلة الا لاجل الاعمال الصالحة، ولو جعل الله الجبلة البشرية مقصورة على تحصيل العلم دون تقديم العمل، لكانت القوة العملية أما فضلا زائدا، وأما تبعا عارضا، ولو أنها كانت كذلك، لما كان عدمها ليخل في عمارة البلاد وسياسة العباد".

وهكذا يتضح أن الزعم بأن تحصيل العلم وحده يكفي باطل، والا لما أثر ذلك على حركة العمران ونشاط السكان، والواقع يشهد بخلاف ذلك؛ فالتخلف العلمي يستلزم التخلف الحضاري؛ لأن اصلاح المجتمع في هذه الحالة سوف يسند الى الجهلاء الأغبياء، ومن أجل ذلك يحذر العامري من خطورة فصل العلم عن العمل فيقول: "كلا: إن توهم هذا يؤدي الى تفويض الاعمال الصالحة بأسرها الى ذوي الجهل والغباوة، ولو جعل الأمر كذلك لوجدت الطبيعة الأنسية عند اقامتها الأعمال الصالحة مستغنية عن العلوم الحقيقية"(٧٤).

ومن هنا نظر ابن خلدون الى التعليم باعتباره (صنعة) من الصنائع، أو كما نعبر نحن في أيامنا هذه (فنا) من الفنون العملية التي لا يمكن أن يقف الانسان فيها عند حد العلم، بل لا بد من الممارسة والتدريب حتى يكتسب المهارة المطلوبة، والتعليم بطبيعة الحال عندما يتجاوز مجرد العلم الى (الفن) و (المهارة)، تتضح امكاناته في التغيير والتطوير والاصلاح. يقول ابن خلدون (٧٥):

"التعليم للعلم من جملة الصنائع، وذلك أن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه، انما هو بحصول ملكة في الاحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة، لم يكن الحذق في ذلك المتناول حاصلا وهذه الملكة هي غير الفهم والوعي".

تعدد آفاق المعرفة:

ولو أن المعرفة في الاسلام محصورة في مجال واحد لا تتعداه، لما كان لها الفاعلية المطلوبة لتطوير المجتمع وتغييره، وانما هي متعددة الآفاق، وآية ذلك أن العلم في القرآن الكريم يعني:

أولا: "جملة المعارف التي يدركها الانسان بالنظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق من شيء. ويشمل الخلق هنا، كل موجود في هذا الكون ذي حياة أو غير ذي حياة". (٧٦) وهذا المعنى يفهم من هذه الآيات العديدة التي تحض الانسان على التفكير والفراسة لما في الكون من مظاهر مختلفة، أوردنا منها الكثير في صفحات سابقة، ونزيد هنا قوله تعالى: "ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وبث فيها من كل دابة، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض، لآيات لقوم يعقلون" (٧٧). ولقد جنى بعض العلماء على المسلمين في الماضي جناية بعيدة الأثر في حياتهم، جناية صرف الناس عن الكون وأسراره، فهذا لا يتفق وأغراض القرآن، فضلا عن أن هذه الدراسات، رفع التعمق فيها أمما من أمم العالم، ومكن لها في الأرض، فاستولت على أمم تفوقها عددا وثروة، واستوت على عروش العز والسلطان، واهمال هذه الدراسات سلب العزة من أمم كانت خليقة بالعزم، بتاريخها ودينها وثروتها. (٧٨)

ثانياً: "التبصر في أي أمر من الأمور والاتيان به على الوجه الأكمل"(٧٩) أو بمعنى آخر، هو طريقة تفكير ومنهج بحث، وهذا يفهم من قوله

تعالى: "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"(الزمر: ٩) وهو استفهام استنكاري، معناه انه لا يستوي عالم وجاهل. وقال تعالى "هل تستوي الظلمات والنور"(الرعد: ١٧)، أي أن الظلمة لا تساوي النور، فبين الله لنا أن الظلمة مثال لحال من لا يعلم، وأن النور مثال لحال من يعلم. فتبين من ذلك ان عدم العلم، يشبه الظلام، ونحن نعلم ما يكون من الانسان اذا اشتد به الظلام، وهو سائر في طريق يقصد غاية معلومة؛ فان الظلام يعمي عليه الطريق، وربما سلك طريقا يبعده عن مقصده، وهو قد يصادف هوة فيسقط فيها فيهلك قبل الوصول الى مقصده (٨٠).

وسوف نتناول في نقطة مستقلة فيما بعد المعنى الثاني للعلم في القرآن، ونقتصر الآن على ايراد الأمثلة والشواهد على أن الله جلت قدرته قد طلب من الانسان، على سبيل الأمر لا على سبيل التوجيه فقط، أن يجوب آفاق الكون باحثا منقبا دارسا: (٨١)

١- **في الفلك:** (تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل)(٨٢).

- "فالق الاصباح، وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا، ذلك تقدير العزيز العليم. وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون"(٨٣).
- "تبارك الذي جعل في السماء بروجا، وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا، وهو الذي جَعل الليل والنهار خِلْفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا"(٨٤).
- "الذي خلق سبع سماوات طباقا، ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير، ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير"(٨٥).

٢- **في الجغرافيا:** "ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش، قليلا ما تشكرون"(٨٦).

- "وهو الذي يرسل الرياح بُشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا، سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون"(٨٧).
- "والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون"(٨٨).
- "وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقينا كموه، وما أنتم له بخازنين"(٨٩).

٣- **في النبات:** "واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، قال: أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير"(٩٠)

- "ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي"(٩١).
- " وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات، والنخل والزرع مختلفا أكله، والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه. كلوا من ثمره إذا أثمر"(٩٢).
- " . . ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا، ان في ذلك لآية لقوم يعقلون"(٩٣)

٤- **عن الحيوان:** "ومامن دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون" (٩٤)

- "ومن الانعام حمولة وفرشاً، كلوا مما رزقكم الله "(٩٥).
- " والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون، وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه

الا بشق الأنفس، ان ربكم لرؤوف رحيم، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة، ويخلق مالا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر، ولو شاء لهداكم أجمعين"(٩٦).

- " وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا"(٩٧).

٥- خلق الانسان:

- "هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء"(٩٨).
- "الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد، وكل شيء عنده بمقدار"(٩٩).
- "أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا"(١٠٠).

والمجتمع الاسلامي عندما يمتثل بالفعل للهدى القرآني، فيفتح لأبنائه مختلف آفاق البحث والتعليم وييسر لهم سبله المتعددة المتعارف عليها، انما يفتح لنفسه بذلك آفاقا من التقدم يمكن أن تجعله في مقدمة الامم القوية التي تضع بصماتها على صفحات التاريخ، وليس هذا الفهم بالأمر المحدث كما قد يتصور البعض؛ فكتابات ابن خلدون تدهشنا بوعيه الواضح بهذه الحقائق، فيذهب الى أن هناك اقترانا واضحا بين دراسة مختلف العلوم والتقدم فيها، وبين ما يحرزه المجتمع من تطور ورقي. ومن هنا فقد عقد فصلاً أكد فيه "أن العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة، والسبب في ذلك ان تعليم العلم كما قدمناه من جملة الصنائع، وقد كنا قدمنا ان الصنائع انما تكثر في الامصار، وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف، تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة؛ لأنه امر زائد على المعاش، فمتى فضلت اعمال اهل العمران عن معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الانسان وهي العلوم والصنائع، ومن تشوف بفطرته الى العلم ممن نشأ في القرى والامصار غير المتمدنة فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعي لفقدان الصنائع في اهل البدو... ولابد له من الرحلة في طلبه الى الامصار المستبحرة شأن الصنائع كلها".

وتطبيقاً لهذه القاعدة الاجتماعية التاريخية، يضرب ابن خلدون الامثال بما حدث في بعض البلدان الاسلامية وقت قوتها، وما ازدهر فيها من المعارف مثل بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة، ثم كيف انقلب الحال عندما تطرقت اليها عوامل الاضمحلال والتفكك. وعلى العكس من ذلك انتقل مركز الاشعاع الحضاري الى القاهرة "ونحن لهذا العهد نرى ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما ان عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف السنين، فاستحكمت فيها الصنائع، ومن جملتها تعليم العلم، واكد ذلك فيها وحفظه ما وقع لهذا العصور بها منذ مائتين من السنين في دولة الترك من ايام صلاح الدين بن أيوب وهلم جرا" (١٠٠)

المنهج العلمي في تناول المعرفة:

ومن الاركان الاساسية لاجتماعية المعرفة، ان ينهج متناولها فيها نهجاً علمياً؛ ذلك لأنه اذا لم يفعل ذلك، تحولت الى مجردات وغلبت عليها الخرافات، وافتقد الانسان ادارك القوانين الحقيقية التي تفسر الظواهر، وهذا وذاك يستحيل معه ان توظف المعرفة لخدمة المجتمع، ويستحيل معه ان تكون ذات أثر حقيقي في تغيير السلوك سواء على المستوى الفردي ام على المستوى الاجتماعي. ونحن نعلم من حقائق العصر الحالي ان هذا التقدم المذهل في التطبيقات العلمية المختلفة بحيث اصبحت حياة الانسان ميسرة الى حد كبير-وبحيث استطاع الانسان ان يحل الكثير من مشكلاته الاجتماعية- ما كان يمكن ان يتم لولا الاستناد الى المنهج العلمي باصوله وقواعده التي تعارف عليها علماء البحث العلمي.

واذا كان المنهج العلمي السليم يقوم على الاستفادة من كل من طريقتي القياس وأيضا الاستقراء معا، فاننا بدراسة النص التالي من القرآن الكريم سوف ندهش لهذه الدقة العلمية المنهجية، والتي لا سبيل الى تفصيلها هذا التفصيل الرائع منذ ألف وأربعمائة سنة الا على يد الخالق الأوحد العليم الحكيم سبحانه جل شأنه، يقول تعالى في محكم تنزيله:

"واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة، اني اراك وقومك في ضلال مبين، وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين. فلما جَنَّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي، فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغاً، قال هذا ربي فلماأفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى، هذا أكبر، فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون، اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين. وحاجّه قومه، قال أتحاجّونّي في الله وقد هدانِ، ولا أخاف ماتشركون به الا أن يشاء ربي شيئا، وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون. وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون. الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون. وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه، نرفع درجات من نشاء، ان ربك حكيم عليم"(١٠١).

ففي هذه الآيات المحكمات، نجد أنفسنا أمام خطوات المنهج العلمي التي تبدأ أولاها بمشكلة تعرض أمام الانسان تتمثل في موقف غامض، وبحكم طبيعة الانسان التي تنشد اليقين، تبحث عن الحل، فهنا نجد ابراهيم عليه السلام يتعجب من عبادة قومه للاصنام مع أنها لا تنفع ولا تضر وهي مصنوعة لا صانعة، وهو بالقياس الاستنباطي يرى أن هذا الكون لا بد له من خالق قادر على كل شيء، ولكن من هو؟

هنا يبدأ في وضع عدد من الفروض، كأن يكون الخالق هو القمر، أو الشمس، ثم يفحص كل فرض منها بالاختبار، فاذا به يرى أنها لا تصمد له، فلا يجد امامه الا الحقيقة الكبرى، حقيقة وجود الله الواحد الأحد الذي لم يولد ولم يلد ولم يكن له كفؤا أحد. وهو بعد أن يصل إلى هذه الحقيقةيشعر بالطمأنينة تملأ جوانحه والسكينة تتسرب الى نفسه، فيحس بالقوة امام الباطل، ويحس بشجاعة تجعله يتحدى قوى القهر والبطش ويتعجب الا يخاف المشركون عذاب يوم عظيم بعد أن

هداه الله الى الحق فبشرهم به. وعندما نقرأ هذه المقارنة بين الفريقين: فريق استعمل عقله وبحث وتأمل وافترض وقارن واختبر، وفريق قد عطل ما وهب من وسائل الادراك الحسي والعقلي ولا يسير الا على ما ألفه من الآباء والاجداد بغير نقد ولا فحص، لا بد أن نتقين من ترجيح كفة الأول.

ومن استقراء هذه الآيات ايضا نستطيع أن نلمس أن الاعتقاد بحقيقة ما لا بد أن يستند الى الموضوعية وعدم التعصب، ولذلك احتلت هذه القضية مكانا بارزا عند الفقهاء، وليسمح لنا القارىء بأن نطول من وقفتنا هنا مع الشوكاني (المتوفى سنة ١٢٥٠هـ) في كتابه (طلب العلم وطبقات المتعلمين) لما احتواه من مبادىء وقواعد لو اتبعت حق الاتباع، لكان لنا انجاز علمي رائع:

فهو يعتذر للقارىء بأن يحدثه عن خبرته الشخصية العلمية، لا من باب التفاخر والتباهي، وانما من منطلق التحدث بنعم الله عليه ولكي يستفيد طلاب العلم من خبرته فلا يقعوا فيما وقع هو فيه من أخطاء. ففي بداية طلبه للعلم، كان الموضوع يتعلق بالطهارة والصلاة فطالع الموضوع قبل أن يدخل على حلقة الدرس، فاذا به يجد نفسه أمام كم غير قليل من الأراء المختلفة، فسأل والده عن أي الآراء يأخذ، فكان رد أبيه أن يأخذ بما في كتاب الأزهار، فسأل الوالد: هل يعني هذا أن صاحب هذا الكتاب اكثر علما وأقوى حجة من غيره، فاذا بالأب يجيب بالنفي، ويسأل الابن: فكيف يكون من الضروري اتباع رأيه، فكان الرد "اصنع كما يصنع الناس"(١٠٢).

كانت صدمة لهذا الطالب النهم المتطلع الى المعرفة الموضوعية المنهجية، ولذلك سار على درب آخر املاه عليه ضميره، وقبل هذا استشفه من دينه الاسلامي. ومن هنا فقد سجل: "ثم ما زلت . . انظر في مسائل الخلاف وادرسها على الشيوخ ولا اعتقد ما يعتقده أهل التقليد من حقية بعضها بمجرد الالف والعادة والاعتقاد الفاسد والاقتداء بمن لا يقتدى به، بل اسائل من عنده علم بالادلة عن الراجح وأبحث في كتب الادلة عن ما له تعلق بذلك واستروح اليه واتعلل به مع الجد في الطلب واستغراق الاوقات في العلم".

من أجل هذا ينصح الشوكاني طالب العلم بأن يلزم نفسه بشريعة الانصاف وعدم التعصب لمذهب من المذاهب ولا لعالم من العلماء، بل يجعل الناس جميعا بمنزلة واحدة في كونهم منتمين الى دائرة أهل العلم، ولأمر ما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم (المنصف) أعلم الناس اذا اختلفوا ولو قصر في العمل؛ ذلك لأنه يكون مبرءاً عن الهوى وقصد السوء.

وأفاض الشوكاني في كتابه في الحديث عن أسباب التعصب وعلله، ويضرب الأمثلة من احداث تكون قد حدثت له أو لغيره من العلماء المسلمين، لينتهي أخيرا الى قوله: "وبالجملة فليس المتعصب بأهل لأن يؤخذ الحق من مؤلفاته؛ فانه اذا لم ينتفع بالعلم ويهتدي بما عرف منه، فكيف يهتدي به غيره، أو يتوصل بما جمعه الى ما هو الحق؛ فالمصاب بالعمى لا يقود الأعمى، فان فعل كانت ظلمات بعضها فوق بعض، والمريض لا يداوي من هو مصاب بمثل مرضه. ولو كان صادقا فيما زعمه من اقتداره على المداواة، كانت نفسه التي بين جنبيه أحق بذاك منه"(١٠٣).

المعرفة للجميع:

ترى: لمن يجب أن تكون المعرفة في الأسلام؟ لكي نجيب عن هذا السؤال يجب أن نفرق بين أمرين: فالمعرفة من حيث انتاجها تكون محصورة على القادرين على أمرها؛ لأن انتاج المعرفة يستلزم قدرات ومهارات ومؤهلات ليست متيسرة، (ومن العسير أن تصور عكس ذلك) لكل الناس، فها هنا (كل ميسر لما خلق له)، اما من حيث استهلاكها والانتفاع بثمراتها فهذا يكون من حق الجميع.

ونحن اذا تأملنا بعض آيات القرآن الكريم فسوف نلمس حرصه على دعوة الذين يعرفون لأن يذيعوا وينشروا ما توصلوا اليه من العلم والمعرفة الى الذين هم في حاجة اليها تعميما للفائدة بين كل المسلمين، يقول جل شأنه:

"ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون".(١٠٤) صحيح أن هناك أسبابا خاصة بنزول هذه الآية، الا أننا نتفق مع الشيخ محمد عبده في القول بأن الحكم فيها عام؛ فكل من يكتم آيات الله وهدايته عن الناس فهو مستحق لهذه اللعنة. ولما كان هذا الوعيد وأشباهه حجة على الذين لبسوا لباس الدين من المسلمين وانتحلوا الرياسة لأنفسهم بعلمه، حاولوا التنصل منه، فقال بعضهم: أن الكتمان لا يتحقق الا اذا سئل العالم عن حكم الله تعالى فكتمه، وأخذوا من هذا التأويل قاعدة هي أن العلماء لا يجب عليهم نشر ما أنزل الله تعالى ودعوة الناس اليه وبيانه لهم، وانما يجب على العالم أن يجيب اذا سئل عما يعلمه(١٠٥)، وزاد بعضهم اذا لم يكن هناك عالم غيره، والا كان له أن يحيل على غيره. وهذه القاعدة مسلمة عند أكثر المنتسبين الى العلم اليوم وقبل اليوم بقرون، وردها أهل العلم الصحيح فقالوا: ان القرآن الكريم لم يكتف بالوعيد على الكتمان، بل أمر ببيان هداه للناس، بالدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأوعد من يترك هذه الفريضة، وذكر لهم العبر فيما حكاه عن الذين قصروا فيها من قبل كقوله تعالى: "واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه"(١٠٦) وقوله "ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير" الى قوله في المتفرقين عن الحق "وأولئك لهم عذاب عظيم"(١٠٧) وقوله "لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم" الى قوله في عصيانهم الذي هو سبب لعنتهم "كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه"(١٠٨)، فأخبر تعالى أنه لعن الأمة كلها لتركهم التناهي عن المنكر.

نعم ان هذا فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين، ولكن لا يكفي في كل قطر واحد كما قال بعض الفقهاء، بل لا بد أن تقوم به أمة من الناس، كما قال الله تعالى لتكون لهم قوة ولنهيهم وأمرهم تأثير.(١٠٩)

كذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بنشر العلم وحرم كتمانه، وذكر ذلك في مناسبات كثيرة، وشهد على هذا الوف المسلمين، قال ابن مسعود: سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول: "نضر الله امرئا سمع منا حديثا، فحفظه حتى يبلغه، فرب مبلغ أحفظ له من سامع"(١١٠). والحديث مشهور وطرقه كثيرة بالفاظ متقاربه، منها "رب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه "ومنها:" نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها الى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه..."(١١١).

وما دام الأمر، كذلك فمن الطبيعي أن يعنى القرآن بتقديم أساليب متنوعة وطرق مختلفة لـ (تعليم) الناس؛ منها على سبيل المثال:

* **أسلوب العبر التاريخية:** اذ يسرد القرآن بعض الحوادث التاريخية لأمم وشعوب غابرة لا من حيث كونه كتاب تاريخ؛ بل لأن هذه الحوادث التاريخية تحوي عبرا اخلاقية واجتماعية للمجتمعات البشرية في كل زمان ومكان، فالكفر والطغيان والفساد والاخلال بالموازين المادية والمعنوية كلها تعمل على تقويض المجتمع وانهياره، وذلك ما حدث لقوم نوح وقوم عاد وقوم ثمود وقوم مدين وقوم لوط وقوم فرعون وغيرهم، فكل هؤلاء هلكوا لخروجهم عن السنن الالهية المقررة في حياتهم الروحية والاخلاقية والاجتماعية.(١١٢).

* **التمثيل(١١٣):** وهو أن يقيس المستدل الامر الذي يدعيه على أمر معروف ويبين الجهة الجامعة بينهما، والآيات الكريمة التي تنهج ذلك المنهج كثيرة، انظر الى قوله تعالى: "يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم، ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى، ثم نخرجكم طفلا، ثم لتبلغوا أشدكم، ومنكم من يتوفى، ومنكم من يرد الى أرذل العمر، لكيلا يعلم من بعد علم شيئا، وترى الأرض هامدة، فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت، وانبتت من كل زوج بهيج. ذلك بأن الله هو الحق، وانه يحيي الموتى، وانه على كل شيء قدير. وان الساعة آتية لا ريب فيها، وان الله يبعث من في القبور" الحج: ٥-٧.

فها هنا نراه سبحانه وتعالى قاس أمر الاعادة للانسان خلقا سويا في الحياة الآخرة الذي كان يثير استغراب العرب على الامر الذي ليس موضع ريب، ولا مجال للشك فيه، وهو الانشاء الأول، وكان القياس على أبلغ وجه وأجمل اسلوب، قد التقى فيه الجلال والكمال والجمال، ومثل ذلك قوله تعالى في سورة يس حاكيا اعتراض المشركين والرد عليهم: "وضرب لنا مثلا ونسي خلقه، قال: من يحيي العظام وهي رميم؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم، الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا، فاذا انتم منه توقدون، أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم، بلى وهو الخلاق العليم".

* **الاعتماد على أهل التخصص:** فقد علمنا القرآن الكريم وكذلك علمتنا السنة النبوية أن نرجع فيما لا نعلم الى العالمين من أهل الذكر والخبرة، بقوله تعالى "فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون"(١١٤). وقال أيضا "ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم"(النساء: ٨٢). وقال: فاسأل به خبيرا"(١١٦) وقال: "ولا ينبئك مثل خبير"(١١٧).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في صاحب الشجة الذي افتاه بعض الناس بوجوب الغسل رغم جراحاته، فاغتسل فمات، قال: "قتلوه قتلهم الله "هلا سألوا اذا لم يعلموا؟ فإن شفاء العي السؤال"(١١٨)

لقد عاب اسلافنا من محققي العلماء على بعض أهل العلم في أزمانهم ممن يتسارعون الى الفتوى دون تثبت وروية كافية، وكان مما قالوه: "ان أحدهم يفتي في المسألة لو عرضت على عمر لجمع لها أهل بدر". ومن مأثور القول: "أجرؤكم على الفتيا، اجرؤكم على النار "وكان الخلفاء الراشدون -مع ما آتاهم الله من سعة العلم- يجمعون علماء الصحابة وفضلاءهم عندما تعرض لهم مشكلات المسائل، يستشيرونهم ويستنيرون برأيهم، ومن هذا اللون من الفتاوى الجماعية نشأ الاجماع في العصر الاول.

* **الأسلوب القصصي:** ومن الأساليب التربوية المعروفة أسلوب القصة، فالقصة تؤثر في النفس اذا وضعت في قالب عاطفي مؤثر(١١٩). والقصة ذات المغزى الاخلاقي المثير قد تعالج أعماق النفس فتحرك الدوافع الخيرة في الانسان، وتطرد النزعات الشريرة فيه- فهي قد تجعل القارىء او السامع يتأثر مما يقرأ أو يسمع فيميل الى الخير وينفذه، ويتعض من الشر فيبتعد عنه. وفعل القصة الاخلاقية أمر معروف منذ القدم، فقد استعمل القصة حكماء الهند والفرس واليونان، والقرآن الكريم جاء بقصص تربوية هي غاية في الأهمية في علاقات الانسان الاخلاقية بأخيه الانسان، ذلك مع جمال الأسلوب وبلاغة المعنى. كما نص القرآن الكريم على أهمية القصة للعبرة الاخلاقية، فقد ورد في القرآن الكريم:

"نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن... "(١٢٠)

"لقد كان في قصصهم عبرة لأولي لألباب... "(١٢١)

وهكذا تتعدد المظاهر والجوانب والآيات المبينة والمؤكدة على أن المعرفة في التربية الاسلامية تتجه الى المجتمع لتطويره وتغييره، وهي كذلك لا بد أن تتأثر به، ولا تناقض بين الأمرين؛ لأن التأثر لا يعني في كل الاحوال المطابقة والتماثل، كما أنها لكي تحقق هذا الهدف لا بد ان تكون (علمية)، ولا بد أن تتبع الطرق والأساليب التي تتيسر معها لجماهير الناس، الى غير ذلك من مسائل وقضايا أثرناها من خلال هذا البحث.

الهوامش

(١) محمد الهادي عفيفي: **في أصول التربية، الاصول الفلسفية**، الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٧، ص٢١١.

(٢) قبارى محمد اسماعيل: **علم الاجتماع والفلسفة**، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٩، ص٩٦.

(٣) سعيد اسماعيل علي: **تدريس المواد الفلسفية**، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٢، ص٩٢.

(٤) زينب رضوان: **النظرية الاجتماعية في الفكر الاسلامي**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٢٦٤.

(٥) محمد البهى: **الاسلام في حياة المسلم**، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٣، ص٢٤٥.

(٦) زينب رضوان: مرجع سابق، ص ٢٦٥.

(٧) عائشة عبد الرحمن: **الشخصية الإسلامية**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣، ص ١٨٤.

(٨) المرجع السابق، ص ١٨٥.

(٩) محمد أنس الزرقاء: **صياغة اسلامية لدالة المصلحة الاجتماعية**، مجلة المسلم المعاصر، العدد السادس عشر ١٩٧٨، ص ٧٣.

(١٠) المرجع السابق ص ٧٦.

(١١) عائشة عبد الرحمن، الشخصية الاسلامية، ص ١٨٨.

(١٢) النحل: ٩٠-٩١.

(١٣) النساء: ٥٨.

(١٤) الاسراء: ٢٢، ٣٢، ٣٧.

(١٥) محمد احمد خلف الله: **القرآن والثورة الثقافية**، الانجلو المصرية القاهرة، ١٩٧٤، ص٤.

(١٦) المرجع السابق، ص٥.

(١٧) ابو حامد الغزالي: **احياء علوم الدين**، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٣.

(١٨) مقدمة ابن خلدون، دار الشعب، القاهرة بدون تاريخ، ص ٣٩٦.

(١٩) احمد محمد الحوفي: القرآن والتفكير، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، العدد ١٧٠ من سلسلة دراسات اسلامية، ص ١١.

(٢٠) علي عبد العظيم: **فلسفة المعرفة في القرآن الكريم**، مجمع البحوث الاسلامية، العدد الخامس والستون، يونيه ١٩٧٣، ص ٩٤.

(٢١) النحل/ ٧٨.

(٢٢) المؤمنون/ ١٢-١٤.

(٢٣) الانسان ١-٢.

(٢٤) الاعراف ٥٨.

(٢٥) التين ١-٦.

(٢٦) المائدة ٢١.

(٢٧) الأسراء ١.

(٢٨) القصص ٥٧.

(٢٩) عبد الفتاح احمد فؤاد: **في الاصول الفلسفية للتربية عند مفكري الاسلام** منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٣، ص٣٥٥.

(٣٠) المرجع السابق، ص ٣٥٦.

(٣١) عماد الدين خليل: **العقل المسلم والرؤية الحضارية**، دار الحرمين للنشر، القاهرة، ١٩٨٣، ١٤-١٥.

(٣٢) فاطر/٣٩.

(٣٣) الاعراف/ ١٢٩

(٣٤) يونس/١٤

(٣٥) النور/٥٥

(٣٦) حسن صعب: **الاسلام والانسان**، دارالعلم للملايين، بيروت، ١٩٨١،ص٧١.

(٣٧) القرآن والثورة الثقافية، ص ١٥.

(٣٨) المرجع السابق، ص ١٦.

(٣٩) النحل/ ١٢.

(٤٠) الحج/ ٦٥.

(٤١) عماد الدين خليل: **في التفسير الاسلامي للتاريخ**، المسألة الحضارية، مجلة المسلم المعاصر العددان الاول والثاني، ١٩٧٥، ص ٣٥.

(٤٢) المرجع السابق، ٣٦.

(٤٣) المرجع السابق، ٣٧.

(٤٤) التوبة/ ١٢٢.

(٤٥) القرآن والثورة الثقافية، ص ٥٩.

(٤٦) القرآن والتفكير، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٤٧) آل عمران/ ١٨.

(٤٨) فاطر/ ٢٧-٢٨.

(٤٩) القرآن والتفكير، ص ٢٧.

(٥٠) البقرة ٢٤٧.

(٥١) في الاصول الفلسفية للتربية عند مفكري الاسلام، ص ١٥٤ وما بعدها.

(٥٢) يوسف القرضاوي: **الصحوة الاسلامية بين الجمود والتطرف**، دار الشروق القاهرة، ١٩٨٤، ص ٩٤.

(٥٣) حسن صعب، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٥٤) التوبة/ ١٠٥-١٠٦.

(٥٥) العقل المسلم، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٥٦) احمد عبد الغفور عطار: **آداب المتعلمين ورسائل أخرى في التربية الاسلامية** د. ت، بيروت، ١٩٦٧، ص ١١٧.

(٥٧) في الاصول الفلسفية للتربية عند مفكري الاسلام، ص ١٣٠-١٣١.

(٥٨) البقرة/ ٢٦٩.

(٥٩) مقداد يالجن: **جوانب التربية العقلية والعلمية في الاسلام**، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٣١، ١٩٨٢، ص ٦٤.

(٦٠) المرجع السابق، ص ٦٥.

(٦١) اسماء حسن فهمي: **مبادىء التربية الاسلامية**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧، ص ٨٩.

(٦٢) المرجع السابق، ص ٩١.

(٦٣) عبد الحي قابيل: **المذاهب الاخلاقية في الاسلام**، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤، ٢٧٥.

(٦٤) المرجع السابق، ص ٢٧٦.

(٦٥) القرآن والثورة الثقافية، ص ٦٩.

(٦٦) عباس محمود العقاد: **التفكير فريضة اسلامية**، دار القلم، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢٢.

(٦٧) البقرة/ ١٧٠.

(٦٨) المائدة/ ١٠٤.

(٦٩) الاعراف/ ٢٨.

(٧٠) محمد مصطفى العراقي: **الاجتهاد في الاسلام**، المكتب الفني للنشر، القاهرة، سبتمبر ١٩٥٩، ص ٢٢

(٧١) الصحوة الاسلامية، ص ١٠٧.

(٧٢) المراغي، الاجتهاد في الاسلام، ص ٤١.

(٧٣) في الاصول الفلسفية للتربية عند مفكري الاسلام، ص ٣١٤.

(٧٤) المرجع السابق، ص ٣١٥.

(٧٥) مقدمة ابن خلدون، ص ٣٩٦.
(٧٦) التفكير فريضة اسلامية، ص ٨٥.
(٧٧) البقرة/ ١٦٤.
(٧٨) محمد مصطفى المراغي: **حديث رمضان**، دار الهلال (كتاب الهلال عـ ١٤)
مايو ١٩٥٢، ص ١٢.
(٧٩) محمد عبده: **دروس في القرآن الكريم**، دار الهلال (كتاب الهلال عـ ٩٦)
مارس ١٩٥٩، ص ١٢٠.

(٨٠) سعيد اسماعيل علي: **ديمقراطية التربية الاسلامية**، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٧٥.
(٨١) عماد الدين خليل: **محاولة لتبويب الآيات العلمية في القرآن الكريم**، مجلة المسلم، العدد العشرون، ١٩٧٩، ص ٧٩-١٣٤.
(٨٢) آل عمران/ ٢٧.
(٨٣) الانعام/ ٩٦/٩٧.
(٨٤) الفرقان/ ٦١/٦٢.
(٨٥) الملك/ ٣-٥.
(٨٦) الاعراف/ ١٠.
(٨٧) الاعراف/ ٥٧.
(٨٨) الحجر/ ١٩.
(٨٩) الحجر/ ٢٢.
(٩٠) البقرة/ ٦١.
(٩١) الانعام/ ٩٥.
(٩٢) الانعام/ ١٤١.

(٩٣) النحل/ ٦٧.

(٩٤) الانعام/ ٣٨.

(٩٥) الانعام/ ١٤٢.

(٩٦) النحل/ ٥-٩.

(٩٧) النحل/ ١٤.

(٩٨) آل عمران/ ٦.

(٩٩) الرعد/ ٨.

(١٠٠) مريم/ ٦٧.

(١٠٠مكرر) مقدمة ابن خلدون، ص ٤٠٠.

(١٠١) الانعام/ ٧٤-٨٣.

(١٠٢) محمد بن علي الشوكاني: **طلب العلم وطبقات المتعلمين**، دار الارقم، غير معلوم بلد النشر، بدون تاريخ، ص ٢١.

(١٠٣) المرجع السابق، ص ٨٩.

(١٠٤) البقرة/ ١٥٩.

(١٠٥) محمد رشيد رضا: **تفسير القرآن الكريم المسمى تفسير المنار**،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢، جـ٢، ص ٤١.

(١٠٦) آل عمران/ ١٨٧.

(١٠٧) آل عمران/ ١٠٤، ١٠٥.

(١٠٨) المائدة/ ٧٨، ٧٩.

(١٠٩) تفسير المنار، جـ ٢ ص ٤٢.

(١١٠) مسند الامام احمد، جـ ٦، ص ٩٦، الحديث رقم ٤١٥٧.

(١١١) سعيد اسماعيل علي: **اصول التربية الاسلامية**، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٨٠.

(١١٢) محمد فاضل الجمالي: **نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الاسلامي**، الدار التونسية، تونس، ١٩٧٨، ص ١١٣.

(١١٣) محمد ابو زهرة: **تاريخ الجدال**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٦٨.

(١١٤) الانبياء/ ٧.

(١١٥) النساء/ ٨٣.

(١١٦) الفرقان/ ٥٩.

(١١٧) فاطر/ ١١٤.

(١١٨) الصحوة الاسلامية، ص ٢٠٤.

(١١٩) نحو توحيد الفكر التربوي، ص ١١١.

(١٢٠) يوسف/ ٣.

(١٢١) يوسف/ ١١١.